الفصل التاسع

فتح المسلمون الأوائل مصر، ومنها انتقلوا إلى الغرب فدخلوا شمالي إفريقية، واستقروا هناك، فساد الإسلام، وعمت اللغة العربية، ورسخت أقدامها، وزادها رسوخاً انتقال كثير من القبائل العربية إلى تلك الجهات، وتوطنها الأمر الذي جعل هذه الأجزاء ضمن البلدان العربية يوم تجزأت الأمة المسلمة إلى عصبيات.

ومن شمالي إفريقية انتقل الإسلام إلى بقية أجزائها، ففي غربي إفريقية كان العامل البارز في هذا الانتقال إلى الدول التي قامت في شمالي إفريقية وغربيها، ثم إلى ارتحال القبائل والدعاة والتجار، وفي الجهات الوسطى كان أثر الارتحال واضحاً هذا بالإضافة إلى الدور الذي قامت به الإمارات وما بذله الدعاة الذين لايكاد يخلو أثرهم من مكان وفي كل عصر.

أما في شرقي إفريقية فقد كان ركوب البحر الطريق الطبيعية التي سلكها الإسلام فالتجارة، وانتقال الأفراد والجماعات، وتأسيس الإمارات، وفي النهاية برز دور سلطة عُمان بشكل ظاهر ثم غدا شرقي إفريقية جزءاً تابعاً لعُمان، ثم دولة منفصلة يحكمها العمانيون حتى سنوات قليلة خلت ومن الشرق توغل المسلمون تجاراً ودعاة إلى أواسط القارة حتى اقتربوا من غربيها، وبذا كان امتداد نفوذ المسلمين وإماراتهم إلى مسافات أبعد جنوباً بكثير من بقية جهات القارة.

وهكذا عمّ الاسلام الأجزاء الشمالية كلها من قارة إفريقية حتى أقرب من خط الاستواء، وتجاوزه على شاطىء الشرق بمراحل كثيرة. ويمكن تقسيم البلدان الإسلامية في إفريقية من حيث الموقع إلى:

١ ــ بلدان شمالي إفريقية: وهى البلدان العربية، وعددها سبع، ويزيد عدد

سكانها على المائة مليون، وتعدّ بعض مناطقها أكثر جهات إفريقية كثافة بالسكان، وخاصة دلتا النيل ووادیه مثل المناطق الساحلية في بلاد الغرب، بينما يقلّ السكان في البقاع الصحراوية بشكل واضح بحيث لاتصل الكثافة إلى شخص واحد في الكيلومتر المربع.

٢ ـ بلدان وسط إفريقية (دول الصحراء)؛ وعددها خمس، وهى: تشاد، والنيجر، ومالي، بوركينا فاسو، وإفريقية الوسطى، وتعد هذه الدول أقل نواحى إفريقية كثافة بالسلطان لأن الصحراء تغطى أكثر أرجائها، ولايزيد عدد سكانها مجتمعه على خمسة وعشرين مليوناً.

٣ ـ بلدان شرقى إفريقية: وعددها خمس، وهى: الصومال، وجيبوتى، والحبشه، وتانزانيا، وحزائر القمر انضمت الأولى والثانية منها إلى جامعة الدول العربية، وتحكم الثالثة منها النصرانية المتمكنة الجذور في المنطقة رغم أنها لاتتجاوز ثلث السكان كثيراً، ويسيطروا على الرابعة النصارى الذين أوجدهم الاستعمار، أما الخامسة فهى جزر صغيرة قليلة السكان خرجت حديثاً من نير الاستعمار، وتسود العربية فيها.

ويقدر عدد سكان هذه الدول بخمسة وأربعين مليوناً، وتعدّ ذات كثافة متوسطة بسبب اعتدال مناخها لارتفاعها، ولوجود السهل الساحلى وقيام الموانىء التجارية على الشاطىء.

٤ ـ بلدان غربى إفريقية: وهي التي تمتد على سواحل المحيط الأطلسى من جنوب البلدان العربية وحتى زاوية خليج غينيا، وعددها تسع دول، وهي: سنغامبيا، وغينيا ـ بيساو. وغينيا، وسيراليون، وساحل العاج، والتوغو، وبنين، ونيجيريا، والكاميرون، ويزيد عدد سكانها على المائة وعشرين مليونا، وتعدّ صغيرة وقليلة الكثافة باستثناء نيجيريا التي تضم أربعة أرباع المجموع، وهى أكثر دول إفريقية سكاناً.

وبذا يكون عدد الدول الإسلامية في إفريقية ستا وعشرون دولة، وترتفع نسبة المسلمين في البلدان المجاورة حتى تزيد على الثلث وتقترب أحياناً من النصف الأمر الذي يجعلها قريبة من أن تصبح ضمن العالم الإسلامى، كما هى الحال في شرقى إفريقية وغربيها مثل: أوغندة، وكينيا، وموزامبيق، ومالاغاشى في

الشرق، وغانا، والغابون في الغرب.

ويكـون عدد سكان الدول الإسلامية في إفريقية قريباً من ثلاثمائة مليون، ويشكل هذا الرقم ثلاثة أرباع سكان القارة، وفي الواقع فإن نسبة المسلمين في القارة كلها تقترب من ٦٠٪ من مجموع السكان، وتعد قارة مسلمية بهذا الرقم.

دول وسط إفريقيـــة

« دول الصحـــراء »

تنتشر الصحراء الكبرى على مساحاتٍ واسعةٍ من إفريقية، وتمتد من سواحل المحيط الأطلسى في الغرب إلى البحر الأحمر في الشرق، لايشذّ عن ذلك سوى الواحات التي تمتد على شكل شريط على طول مجارى الأنهار إن وجدت مثل: نهر النيل، والنيجر، والسنغال، أو على شكل بقع صغيرة من الخضرة توجد حيث تنبجس عيون من المياه فتشكل منطقة مأهولة تتباين مساحتها حسب كمية الماء التي تنبع هناك، أو تتوافر في باطن الأرض، ويمكن استخراجها بطريقةٍ أو بأخرى.

وتشتمل هذه الصحراء مساحات واسعة من البلدان العربية في إفريقية، وأجزاء كبيرة من البلدان الإسلامية التي تقع وسط إفريقية، وإذا كانت البلدان العربية تمتد نحو الشمال لتضم أجزاء من منطقة البحر الأبيض المتوسط ذات الأمطار الشتوية، والتي يعتدل مناخها لوقوعها على درجات العرض الموسطة والملامسة سواحلها للمياه المعتدلة فإن دول وسط إفريقية الإسلامية بالمقابل تمتد نحو الجنوب لتضم أجزاء من المناطق السودانية ذات الأمطار الصيفية التي تعدل بدورها من الحرارة المرتفعة، وتساعد في إنبات الحشائش الطويلة (السافانا)، كما توجد أشجار على ضفاف الأنهار، وأجمات في بعض المرتفعات، ومن هنا كانت هذه البلاد صحراوية في الشمال سودانية في الجنوب، ويسكنها عرب وبربر في الشمال، وزنوج في الجنوب. وليست هذه الدول ذات أراض جافة فقط، وإنما هي بلاد داخلية بعيدة عن البحار، منزوية وسط القارة وهى: تشاد، والنيجر، ومالى، بوركينا فاسو، وإفريقية الوسطى. وإذا كانت الدول الثلاث تشمل مناطق واسعة من الصحراء.أما الدولتان الأخريان فلا تضم أراضيهما بقاعاً جافة تماما كما هى في الصحراء الكبرى إذ لاتمتدان نحو الشمال لتصلا إلى تلك البقاع وإنما تقتصر على المناطق السودانية ذات الأمطار الصيفية ولكن تلك الأمطار قليلة فيهما ولبعدهما عن البحار.

تشـــاد

لمحـة جغرافيـــة :

تشغـل تشاد مساحة واسعة تزيد على مليون وربع من الكيلومترات المربعة (١,٢٨٤,٠٠٠كم٢) وتميل أرض تشاد بشكل عام نحو الجنوب الغربى، يدل على ذلـك اتجـاه المياه من مختلف الجهات نحو بحيرة تشاد التي أخذت البلاد اسمها. . وتتألف من سهل رسوبي واسع، تحيط به المرتفعات من جميع الجهات، وبـين هذه المرتفعات عتبات تصل بين تشاد من جهة وبين ليبيا، والسودان، وإفريقية الوسطى من جهة ثانية. وتتقاسم تشاد البحيرة مع كل من نيجيريا، والنيجر، والكاميرون، والبحيرة قليلة العمق، حيث لايزيد أكبر عمق فيها على ٤,٥م، وغالبًا مايساوي المتـرين، وتغطى النباتات $\frac{٤}{١٠}$ مساحة البحيرة، وأهـم هذه النبـاتـات القصب الذي يصل ارتفاعه إلى ٦ـ٨م، والطحالب التي تعيق الملاحة فيها. وتزيد مساحة هذه البحيرة على مساحة دولة لبنان (١٠,٠٠٠كم٢).

تمتد البلاد بين خطى عرض ٧,٣٠ و ٢٣,٣٠ شمال خط الاستواء، وعلى هذا فهي تقع ضمن مناخى السودان والصحراء، فالمناخ السوداني كما هو معروف يمتد من ٨ـ١٨° أما الصحراء فهى بين خطى عرض ١٨ـ٣٠°.

يمتـاز المنـاخ السـوداني بفصـل جاف وهو فصل الشتاء، وفصل مطير وهو الصيف، ويبلغ معدل المطر أكثر من ٥٠ سم تنمو خلال ذلك الأعشاب الطويلة التي ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار، ويتناقص هذا الطول كلما اتجهنا شمالاً حيث تقل أيضاً مدة المطر وكميته، أما على ضفاف الأنهار فتنمو الأشجار العالية.

وبـلاد تشـاد حارة كلها بوجه العموم، ولكن ترافق هذه الحرارة رطوبة في الجنوب، وتهب رياح شمالية شرقية جافة تحمل معها الرمال، وتسود أكثر أيام السنة وإن كانت تصل إلى الجنوب رياح بحرية من المحيط الأطلسى وذلك في فصل الصيف وهي من الموسميات، وتسبب فيضان الأنهار.

يجرى في الجنوب نهر (شارى) الذي ينبع من جمهورية إفريقية لوسطى، وكذلك نهر (لوغون) الذي يشكل الحدود بين تشاد والكاميرون، أما في الشمال فالمجارى المائية سيول تجرى عقب الأمطار ثم لاتلبث أن تجف، ولا تزال بعض البحيرات وسط السهل الرسوبي.

تعد تشاد بلاداً رعوية وزراعية، فتربى مليوني رأس من الأغنام ومثلها من الماعز وثلاثمائة ألف من الإبل ذات الوبر الطويل وتعد واسطة النقل الوحيدة في الصحراء.

وتقوم الزراعة بالدرجة الأولى في الجنوب فنجد القطن ويزيد إنتاجه على ٨٠ ألف طن، والأرز وتنتج ٢٥ ألف طن، ويستهلك محلياً، ثم هناك الدخن، والذرة، والفول السوداني، وقليل من الحنطة، والتمر، والموز، وجوز الهند، والكاكاو، كما تربى الأبقار في الجنوب، وتزيد عن الحاجة فتصدر اللحوم والجلود. وتصيد ثمانين ألف طن من الأسماك، ولاتزال الغابة على شكلها الطبيعى لم تمس بعد. ويظهر أن أرض تشاد غنية بالثروة المعدنية ولكن لم تستثمر بعد وقت عرف منها (اليورانيوم)، ومن هنا تظهر الصراعات الاستعمارية على الأرض التشادية.

والمواصلات متأخرة جداً، والميزان التجارى خاسر.

الســـــكان :

يزيد عدد سكان تشاد اليوم على أربعة ملايين ونصف، تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٨٥٪، وتزداد هذه النسبة في الشمال وتقل كثيراً في الأجزاء الجنوبية حيث تغلب نسبة النصارى والوثنيين الذين يعتقدون بالأرواح ويقدسون الأشباح، ويكادون يتساوون في العدد.

واللغة الفرنسية هي الرسمية، أما العربية فتسود في الشمال، ويزيد عدد اللغات المحلية على ١١٨ لغة. وينتظم السكان ضمن قبائل أشهرها: بيلي، وتيدا، والبودوما، والتيبو وتقطن الشمال، وتدين بالإسلام، والهاوسا، وشوا، في الوسط وهى مسلمة أيضاً، وكوتوكو، والكانورى في الوسط أيضاً وهى مزيج من العرب والزنوج وأكثرها مسلمة، أما الفولانى أو البهل فيدعون أنهم من أصل عربى، ويقيمون في الوسط وأكثرهم مسلمون وبقى عدد قليل منهم على وثنيته.

وتزداد نسبة العرب والبربر عادة في الشمال، أما الزنوج فيكثرون جنوب خط عرض ١٢.

وقد حدث اختلاط بين العرب والزنوج. وإن احتفظت بعض القبائل الزنجية بصفاتها إذ لم تختلط بغيرها وانعزلت في بعض الكتل الجبلية مثل: ملفى ، وأبو ضيا.

وأشهر قبائل الجنوب (قبيلة السارا) التي تنتشر في المقاطعات التشادية الجنوبية الخمس، كما تنتشر في جمهورية إفريقية الوسطى، وقد انتشرت النصرانية في هذه القبيلة، وكان منها رئيسا الجمهورية السابقين.

ومن القبائل القديمة البلالا، والتاما، والارنجا، والموسجو، والقرعان وغيرهم.

تاريخ تشـــاد

يبدو أن الإنسان قد أقام في منطقة تشاد من القديم، فسكنت شعوب امتهنت الصيد والرعى في الشمال، ويدلّ على ذلك بعض الآثار التي خلّفوها منحوتةً على الصخور، وأقام شعب (الصاو) في الجنوب على ضفاف نهر (شارى)، وامتهن الزراعة والصيد وصناعة الخزف، وتدل آثارهم على ذلك.

وإن تاريخ منطقة تشاد يكاد يكون مجهولاً حتى المدة التي شع فيها نور الإسلام عن طريق التجارة والدعوة وانتقال القبائل من الشمال إلى الجنوب. ونزوح بعض الرجالات إثر الأحداث التي تحل بالعالم الإسلامي مثل: سقوط بغداد، وخروج المسلمين من الأندلس وغير ذلك... ومن ثم تأسست بعض الممالك الإسلامية في تلك الديار أهمها ثلاث وهى:

١ ـ مملكـــة كانم :

وتأسست في القرن الثاني الهجري على أيدي جماعة قادمين من الشمال، وكان مركزها هذه المملكة شمال شرقي بحيرة تشاد ، وحكم أسرة سيف (١٨٣-١٢٢٥هـ)، كانت على الوثنية مدةً من الزمن تعد غامضة في أكثر مراحلها ثم دخل إليها الإسلام في أواخر القرن الخامس، وأول الأمراء الذين اعتنقوا الإسلام يدعى (أوم) وحكم من (٤٧٨-٤٨٩هـ)، ولقب الملوك بعده (مای)،

وانتشر الإسلام في أيامه كثيراً، وتوسعت مملكتهم حتى امتدت من النيجر غرباً إلى (واداى) شرقاً، وضمت مناطق من الصحراء، وشملت أجزاء من المناطق السودانية في الجنوب، وكان هذا التوسع بمساعدة حكام تونس من الحفصيين، ووصلت إلى الأوج أيام (عبدالجليل سلما) و (جونوما الثاني).

وفي عام ٧٨٩هـ (١٣٨٧م) عمد قوم (البلالا) وهم أخلاط من العرب والتشاديين إلى انهاء حكم هذه المملكة، وبقيت الحرب قائمة بين الطرفين حتى أوائل القرن التاسع، قتل في خلالها أربعة ملوك من دولة كانم، وأخيراً هرب حكامها إلى (بورنو) غرب بحيرة تشاد، وهو الأقليم الذي انتزعوه من شعب (الصاو)، وأسسوا هنالك مملكة جديدة، ثم استطاع (علي دوناما) الذي حكم (٨٧٧-٩١٠هـ) أن يهاجم (البلالا)، وأن يعود إلى كانم. وابتدأ الازدهار لهذه المملكة مرة أخرى في أيام الملك (إدريس الثالث) الذي يعرف باسم (إدريس الونة) وقد حكم ٩٧٩-١٠١٣هـ (١٥٧١-١٥٩٦م) ووسع حدود مملكته.

وأخيراً تدهور الحكم، وفي هذه الأثناء هاجمت قبائل الفولاني بزعامة (عثمان دانفديو) المنطقة، واحتلت منطقة (بورنو)، وأصبحت قبائل (الهاوسا) كلها تحت حكمه، وفرض الإسلام على القبائل الوثنية.

استدعى أهل كانم الشيخ محمد الأمين الكانمي عام ١٢٢٥هـ (١٨١٠م)، فتولى الحكم، وأنهى حكم أسرة (سيف)، ووقف في وجه قبائل الفولاني، وصد هجومهم، وبنى له عاصمة في مدينة (كوكا)، وسار في البلاد سيرة حميدة، إلا أن الضعف عاد بعده، وتمكن الأمير (رابح) مولى الزبير باشا أن يدخل البلاد، كما استطاع دخول منطقة (بورنو) وبقي في الحكم حتى جاء الفرنسيون عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م).

٢ ـ مملكـــة وادّاى :

وادّاى مطقة وعرة في الشرق، حكمتها أسرة (التنجور) حتى القرن العاشر الهجري، وكانت على الوثنية، وجاءت من الصحراء فارّة من وجه قبائل بنى هلال، ووصلت إلى منطقة (دارفور)، واختلطت مع شعب (الداجو) الأسود، ومن اختلاط الشعبين نشأ شعب (الفور) الذي طرد (التنجور) فاتجه نحو الغرب

وسيطر على منطقة (وادَّاى)، واستمر في الحكم إلى أن دخل الإسلام المنطقة في القرن العاشر الهجري.

إن أول الملوك المسلمين هو (عبدالكريم) الذي أصبح سلطاناً عام ١٠٣٠هـ (١٦٢١م) وتولّى بعده ابنه (عروة) فأسس مدينة جديدة لتكون مركز حكمه هي (وارا)، ثم انتقلت العاصمة إلى (أبيشه)، وخضعت لحكم (دارفور)، وأخيراً استقلت عنها في أواخر القرن الحادى عشر الهجري، وعاد إليها الضعف، ثم عادت إلى الازدهار أيام الملك (صابون) الذي حكم ١٢٢٠-١٢٣٠هـ (١٨٠٥-١٨١٥م)، وخلفه أخوه (محمد شريف صالح)، ثم ابنه (علي)، وقويت الدولة، ثم حدثت الفرقة بين أفراد الأسرة الحاكمة، وتدخل الفرنسيون لنصرة أحد الأراف وسيطروا على الوضع.

٣ ـ مملكة باغيرمى :

وهي في جنوب الأجزاء الوسطى من البلاد، وقد تأخر دخول الإسلام، إلى هذه الرقعة، حيث وصل إليها في مطلع القرن العاشر الهجري، ويعد السلطان (بريمى) أول الحكام المسلمين فيها، ولعل هذا الإسم محرف عن اسم (إبراهيم)، وازدهرت هذه المملكة أيام السلطان الحاج محمود الأمين ١١٦٥-١٢٠٠هـ (١٧٥١-١٧٨٥م)، وقد عم في عهده الإسلام بلاد (باغيرمى) كافةً.

وفي عام ١٢٢١هـ (١٨٠٦م) خضعت هذه المملكة الى سلطان (وادَّاى)، ثم ضمها الشيخ محمد الأمين الكانمى إلى مملكته، ولكن عادت لها قوتها عام ١٢٦٥هـ (١٨٤٨م)، ولم يلبث أن هاجمها ملك (وادَّاى) عام ١٢٨٨هـ (١٨٧٠م)، وأخيراً ضمها الأمير رابح إلى سلطانه عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢م)، وبقيت تحت سلطانه حتى جاء الفرنسيون ودخلوها عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م). ومن الممالك الأخرى مملكة (مانغا) التي تقع أراضيها إلى الشمال من بحيرة تشاد. أما شمالي تشاد اليوم فقد كان بيد العثمانيين، وقد أقاموا فيه عدداً من القلاع وكان لهم دور في نشر الإسلام، ومن القلاع الأثرية لهم هناك (فايا) و (غريدة).

الأمير رابـح

تمكن الإنكليز في السودان من القضاء على سليمان بن الزبير سلطان دارفور، وقتلوا سبعمائة من أتباعه وذلك عام ١٢٩٧هـ (١٨٧٩م)، إلا أن أحد قادته وهو الأمير رابح قد نجا بمن معه فسار نحو أرض تشاد في ألف فارس، واستطاع أن يسيطر على منطقة (وادّاى)، ثم اتجه نحو بحيرة تشاد فضم إلى سلطانه الحديد الممالك القائمة وهى: (باغيرمى)و (كانم)، كما شمل حكمه بلاد (بورنو)، واتخذ من ديكوا[1] عاصمة له. وأقام حكومة إسلامية في هذه البلاد كلها، وذلك عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢م). ولكنه لم يلبث أن اصطدم مع الفرنسيين الذين كانوا يوسعون نفوذهم شمالاً من بلاد الكونغو، وذلك عن طريق الارساليات التنصيرية والرحالة، فوجه الفرنسيون ثلاث حملات بقيادة الجنرال (لامى) الذي قتل على أبواب مدينة (قصيرى) الواقعة على الضفة اليسرى لنهر (لوغون) مقابل مدينة (نجامينا) وهى اليوم ضمن أراضى دولة الكاميرون، إذ يشكل النهر الحدود السياسية بين الدولتين، أما الأمير رابح فقد جرح في هذه المعركة ثم توفى متأثراً بجراحه عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م).

تولى سلطان إمارة رابح بعده ابنه فضل الله، فانتصر على الفرنسيين في بعض المعارك. الا أن الفرنسيين قد دخلوا تشاد ١٣٢٧هـ بفضل اسلحتهم وكثرتهم، وقتلوا السلطان فضل الله، واستمرت المقاومة الإسلامية في البلاد مدة عامين، ثم قضى عليها بعد معركة (عين جالا) عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م).

الفرنسيـــون

أخضع الفرنسيون تشاد، وحتى يستطيعوا البقاء في سيطرتهم عملوا على إرهاب الشعب فجمعوا أربعمائة عالم من أنحاء البلاد، وساقوهم إلى مدينة (ابيشة) قاعدة (واداى) وقتلوهم بالساطور وقد عرفت هذه المذبحة باسم مذبحة (كبكب) وذلك عام ١٣٣٦هـ (١٩١٨م) أثناء الحرب العالمية الأولى، ومع هذه الوحشية فلم

---

(١) ديكوا: مدينة تقع فش شمال شرق نيجيريا في بلاد بورنو إحدى أجزاء نيجيريا اليوم، وتقع إلى الغرب من مدينة (نجامينا) على بعيد ٢٠٠ كم منها.

تتمكن فرنسا من السيطرة على الأجزاء الشمالية ودخول قلاع (زوار) و (فور) و (أوزو) إلا عام ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م) حيث كان السنوسيون يقاومون الاستعمار الفـرنسي في الجنـوب، كما يقـاومـون الاستعـمار الـطلياني في الشـمال، وكـان لهم أكثر من مائة رباط منتشرة في تشاد من (غورو) إلى (بوركو) ومن (فايا) إلى (كانم) وفي منطقة (عيندى) و (تيبستى).

اتبعت فرنسا سياسة استعمارية صليبية إذ عملت على جعل السياسة الاقتصادية والسياسية والثقافية في يدها. ومن هذا المنطلق فقد عملت على إبقاء المسلمين في حالةٍ من الجهل والفقر، ينتابهم المرض، ويلحق بهم العذاب، فلم يكن ليدخل المدارس التي تشرف عليها الحكومة، أو المستشفيات التي يشرف عليها المنصرّون ـ وهى الوحيدة في البلاد تقريباً ـ إلا الذين اعتنقوا النصرانية أو الذين يؤمل منهم ذلك. وكانت سياسة فرنسا تقضى بامتصاص كل مجموعةٍ مثقفةٍ من سكان تشاد إلى فلك الثقافة الفرنسية كى لاتجعل لنفسها وجود ثقافتين متباينتين إحداهما إسلامية وطنية والثانية نصرانية دخيلة، ومشكلة وجود عددٍ من المثقفين من أبناء البلاد يطالبون بالمساواة مع الفرنسين أو يطالبون بالاستقلال. كما اتبعت سياسة التمييز بين الفرنسيين والتشاديين تمييزاً يعتمد على اللون والتعالي، والرتب العسكرية وكل جوانب الحياة.

ومنعت فرنسا من وجود تنظيمات سياسية أو اجتماعية في البلاد، لكنها سمحت بوجود شعبٍ لأحزابها الموجودة على الأرض الفرنسية كي توجه السياسة من باريس فكان من هذه الفروع:

١ ـ الحزب الراديكالي: ويتولى رئاسته في تشاد (فرانسوا تومبالباى)

٢ ـ الحزب الاشتراكى: وقد انتهى مع ظهور (ديغول).

٣ ـ حزب أوديت: ويرأسه في تشاد (ربتليس)، ثم (غبرييل ليزبيت).

٤ ـ الحزب الوطنى التشادى: ويتزعمه (أحمد أبا).

واتبعت فرنسا سياسة القمع والإرهاب، واستمر الوضع حتى قيام الحرب العالمية الثانية، ولم يحدث من شيء سوى تعديل الحدود بين ليبيا وتشاد عام ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) حيث ضمت ليبيا إليها أجزاء من منطقة جبال تيبستى، ولكن المعاهدة لم يؤخذ بها.

قامت الحـرب العـالمية الثـانية، وكانت تشاد جزءاً من إفريقية الاستوائيةلا الفرنسية التي تشمل منطقة واسعة وسط القارة وغربيها. ويحكم منطقة تشاد فيها (فيلكس أبوية) وهو غريب ينتمى إلى (غواد لوب) إحدى جزر البحر الكاريبى، وهزمت فرنسا أمام ألمانيا وانقسم الفرنسيون إلى قسمين أطلق على أحدهما اسم حكومة (بيتان) وهى تتبع ألمانيا، وعلى الآخر فرنسا الحرة ويتزعمها ديغول الذي يدير شؤون الجند من إنكلترا، واعلن حكام تشاد عن وقوفهم مع ديغول فأعطاهم الأمان، وزار البلاد، وكانت تشاد مركزاً لتموين جيوش الحلفاء التي قاتلت في الصحراء، وقاعدة لتحرك الجيوش التي دخلت ليبيا وتونس.

انتهت الحـرب، وانتخب أول مجلس نيابي فيها عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م)، وقامت حكومة برئاسة (غيبريل ليزبيت)، ثم حصلت على استقلال ذاتى بعد أن وافقت على مشروع ديغول بشأن المستعمرات الفرنسية عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٨م)، وأجـريت الانتخـابـات، وتشكل الحزب التقدمى التشادى من ائتلاف الحزب الراديكالى وحزب (أوديت) وحصلا على جميع مقاعد الجمعية التأسيسية، وشكل (فرانسوا تومبالباى) الحكومة، وكان (ليزبيت) نائباً له. وبعد عام نالت البلاد الاستقلال، ودخلت الأمم المتحدة، وعدل الدستور، وغدت اللغة الفرنسية هى الرسمية، وأصبحت السلطة التنفيذية بيد رئيس الجمهورية وهو في الوقت نفسه رئيساً للوزراء ويتولى هذا المنصب (فرانسوا تومبالباى)، وشكلت الوزارة من ستة عشر وزيراً نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من غيرهم.

ألغى رئيس الجمهورية عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) الأحزاب كلها، واعتمد على نظام الحزب الواحد وهو الحزب التقدمى التشادى الذي يتزعمه، وألقى القبض على ثلاثـة من زعـماء المسلمين بتهمة تهديد أمن الدولة، وعدل الدستور من جديد. وجرت انتخابات في عامين متواليين، وصل سفير دولة اليهود إلى تشاد الأمر الذي أثار غضب المسلمين وهذا ما أدى إلى إخراج المسلمين من الوزارة، واعتقل عدد منهم، وحكم على بعضهم أحكاماً قاسية لاتقل عن عشرين سنة مع الأشغال الشاقة. وانضم المسلمون بعد ذلك إلى المعارضة التي كانت تتمثل في حزب الاستقلال الوطنى، والاتحاد الوطنى التشادى.

فرضت الحكومة ضرائب جديدة فحدثت انتفاضة عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م)

بقيادة (أحمد غلام الله) و (جبرييل خير الله) ولكن قضى عليها بسرعة، وتشكلت بعدها (الجبهة الشعبية لتحرير تشاد)، وكان أمين سرها (أبا صديق)، وحدثت اعتقالات واسعة شملت الوزراء المسلمين ونائب رئيس الجمعية الوطنية وبعض النواب.

وحدثت الانتفاضة الثانية عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) وذلك في مدينة (مانغالم) بسبب الضرائب التي كانت تجبى عدة مرات في العام الواحد، واستمرت المعارك ستة أشهر.

ثم قامت الثورة عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م)، وشملت أكثر المناطق الإسلامية وخاصة بلاد (التيبو) وبلاد (تيبستى) في الشمال. وسيطرت الحركة على الشمال، وكان سبب الثورة تافهاً وهو حدوث خلاف بين امرأتين إحداهما مسلمة زوج أحد رجال الهجانة المسلمين، والثانية نصرانية زوج أحد رجال الجيش وتطور الأمر، ولم يكن الأمر كافياً لاشعال نار الثورة إلا أن النفوس مشحونة[1]، واستنجد رئيس الجمهورية (فرانسوا تومبالباى) بفرنسا بعد سيطرة المسلمين على الشمال فأمدته بثمانمائة مظلي عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) ثم أردفت ذلك بمائتين وستين جندياً، ولم تستطع حكومة تشاد من السيطرة على الموقف إلا عام ١٣٩٠هـ.

أظهر (تومبالباى) سياسة المهادنة، وطلب سحب القوات الفرنسية من المناطق الشمالية، فقبلت ليبيا هذا التصرف، ولكن لم يوافق عليه زعيم قبائل التيبو الذي كان يعيش منفياً في ليبيا، ولا جبهة تحرير تشاد التي كان مقرها في الجزائر حيث يعلمون مراوغة (تومبالباى).

دعمت ليبيا الثورة في تشاد، وبدأت تمدها بالسلاح والمؤن، وخرجت القوات الفرنسية من تشاد عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) واضطرت الحكومة التشادية إلى جلب قوات مرتزقة من زائير لدعم موقفها. ولكنها لم تلبث أن أعلنت عن محاولة انقلاب فاشلة بزعامة أحمد عبدالله الذي انتحر عندما فشلت المحاولة، وساءت العلاقات جداً بين الدولتين المتجاورتين ليبيا وتشاد.

---

(١) كان سلطان منطقة الشمال والد غوكونى عويدى رئيس الجمهورية فيما بعد. وكان له الدور في اشعال الثورة.

وبعد حرب رمضان ١٣٩٣هـ (تشرين أول ١٩٧٣م) بين العرب ودولة اليهود في فلسطين قطعت تشاد علاقتها مع دولة اليهود وتحسنت الأوضاع قليلاً.

وفي عام ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م) استولى الجيش بقيادة (عبدالقادر كاموغا) على السلطة، وهو نصراني من الجنوب، ومن قبيلة (تومبالباى) نفسها، وعين الجنرال (فيلكس مالوم) رئيساً للدولة، وهو مثل الرئيس السابق ومن قبيلته أيضاً، وبهذه التمثيلية احتفظ النصارى في الجنوب بالسلطة.

انقسمت جبهة التحرير الوطنية في تشاد (فرولينا) إذ انفصل عنها حسين هبرى، وأسس قوات الشمال، على حين بقى غوكونى عويدى مدعوماً من القوات الشعبية التابعة لجبهة (فرولينا). ثم انفصل (أحمد أصيل) عن الجبهة، وانضم أخيراً إلى حسين هبرى.

بدأت الأحداث الدامية عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، واضطر رئيس الدولة (فيلكس مالوم) على مغادرة البلاد شهر من مؤتمر (لاغوس) في نيجيريا. وتشكل مجلس وطني حكم البلاد ثلاثة أشهر، ثم قامت حكومة وطنية دام حكمها ثلاثة أشهر أيضاً، أعقبها حكومة مثلت الاتجاهات الأحد عشر في البلاد ثم انفرط عقدها بعد ثلاثة أشهر، وعاد القتال، ولعبت الدول العربية والأجنبية دوراً في هذا القتال، فاظهرت فرنسا دعمها لحسين هبرى وكذا مصر مخالفة لليبيا التي تدعم غوكونى عويدى الذي اتفق مع قائد الجيش عبدالقادر كاموغا.

تعد المناطق الشرقية مركز نفوذ (حسين هبرى) وأهم هذه الأجزاء اقليم (وادًاى). واقليم (بيلتن)، والقسم الشرقي من اقليم (باتا)، أما مناطق الشمال والأجزاء التي تشرف على بحيرة تشاد مراكز دعم لـ (غوكونى عويدى)، وهى مناطق كانم، والبحيرة، أما عبدالقادر كاموغا فيسيطر على نصارى الجنوب وتسمى قواته (القوات التشادية المسلحة).

وتمكن حسين هبرى من السيطرة على أكبر قسم من العاصمة (نجامينا)، ودخلت القسم الباقي جماعات من جبهة فرولينا، ونتيجة القتال الدائر بين الأطراف المتنازعة فقد فر إلى الكاميرون أكثر من سبعين ألفا اتجه أكثرهم إلى عاصمة الكاميرون (باوندى) كما رحل عن العاصمة أكثر من ٩٠٪ من أهل الجنوب الذين كانوا يقيمون فيها. ودخلت القوات الليبية دعماً لغوكونى عويدى وعبدالقادر كاموغا، وخرج من العاصمة مضطراً إلى المناطق الشرقية حسين هبرى الذي يهدد الوضع باستمرار وهذا مايجعل السلطة تحرص على إبقاء القوات الليبية في العاصمة.

ثم استطاع حسين هبرى من السيطرة على تشاد، وتسلم السلطة، وفر غوكوني عويدي إلى جنوبي ليبيا واستقر في (سبها).

وعاد غوكوني عويدي في الخامس من رمضان ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) وسيطر على أقسام من الشمال.....

مـــالـــي

لمحة جغرافيـــــــة:

تبلغ مساحة مالي «١,٢٠٤,٠٠٠ كيلو متر مربع، فهى إحدى دول إفريقية الواسعة المساحة، تتألف أرضها من هضبة يبلغ معدل ارتفاعها ٥٠٠م، تستوى في أقسامها الشمالية والشمالية الغربية فتبدو كسهل فسيح منبسط تسوده الكثبان الرملية والأراضى الحصوية في حين ترتفع في أجزائها الشمالية الشرقية قرب حدود الجزائر والنيجر، وتعد امتداداً لمرتفعات الهكار، ويطلق عليها هنا اسم هضبة (أدرار)، وكـذلك ترتفع في جهاتها الجنوبية والجنوبية الغربية قرب حدود غينيا وساحل العاج حيث السفوح الشمالية لمرتفعات (فوتا جالون)، ويفصل بين هذين القسمين من المرتفعات الجزء الأوسط من الهضبة المستوية المعروفة باسم هضبة (ماندينغ) والتي يجرى فيها نهر النيجر، وتنحدر المياه نحوه من كلا الجانبين. وتكون أخفض نقطة في الوسط عند مدينة (تومبوكتو)، ثم تنحدر باتجاه الجنوب الشرقى مع مجرى النهر. وفي المنطقة المنخفضة تكثر المستنقعات وخاصة في فصل الصيف. ويجرى نهر السنغال في الغرب نحو الشمال الغربى مع انحدار قليل للأرض ويكون بين مجريي النهرين مرتفع وئيد من الأرض هو جزء من هضبة (ماندينغ).

وتكون بعض المناطق المنخفضة في الشمال قرب الحدود مع موريتانيا والجزائر تؤول إليها بعض السيول. كما يجرى وادى (الأسواق) قرب الحدود مع النيجر، وتتجه مياهه نحو نهر النيجر.

المنـــاخ :

تمتد مالي بين خطي عرض ١٠ ـ ٢٥ شمالاً، وبذا تكون ضمن نطاقين كبيرين هما:

١ ـ النطاق السوداني: ويمتد بين خطى عرض ١٠ـ١٨°، وتكون الحرارة مرتفعة طيلة العام، وتتراوح كمية الأمطار بين ٢٥٠ـ٥٠٠ مم تهطل خلال سعة أشهر، وهى أشهر الصيف التي تمتد من نيسان إلى تشرين الأول، وتكون الأشهر الأخرى جافة، وهى الأكثر حرارة. وتزداد الأمطار في المنطقة الجنوبية، والجنوبية الغربية حيث يبلغ معدلها ٧٥٠ـ١٢٠٠ مم.

٢ ـ النطاق الصحراوى: ويمتد بين خطى عرض ١٨ ـ ٢٥°، ويمتاز بشدة الحرارة، وقلة الأمطار التي لايزيد متوسطها على ٢٥٠ مم، تهطل في خلال الصيف، وتتناقص كلما اتجهنا شمالاً، وتقل مدتها فلا يهطل في مدينة (تومبوكتو) أكثر من ١٠٠ مم في شهري تموز و آب فقط.

الميـــــاه :

يرتبط نظام الأمطار بالأمطار ارتباطاً واضحاً، حيث تزداد الغزارة في فصل الصيف فصل الأمطار، وتشح في فصل الشتاء فصل الجفاف.

ويعد نهر النيجر أهم مجرى مائي في البلاد فيرسم قوساً مقعراً نحو الجنوب، وتبلغ غزارته ١٠,٠٠٠م٣/ثا في الصيف، وتقل إلى ١٠٠م٣/ثا في الشتاء. ويشكل عدداً من المستنقعات جنوب غربى مدينة (تومبوكتو) وتزداد مساحتها صيفاً، وتقل شتاءً. ويبلغ طول هذا النهر في مالي مايقرب من ٧٥٠ كم. وتقععلى هذا النهر أهم المدن بما فيها العاصمة وكذا الحياة الحضرية المستقرة، والزراعات.

كما يجرى نهر السنغال في الغرب راسماً قوسفا نحو الغرب، وتقوم عليه بعض المدن، كما تكثر الزراعات على ضفافه.

الســـــكان :

يقدر عدد سكان مالى عام ١٤٠٢هـ بستة ملايين نسمة، وبذا فإن الكثافة قليلة تختلف عن مثيلاتها تشاد، والنيجر، وهي من الكثافات القليلة في العالم،

وتـتركـز الغالبية العظمى في الجزء الجنوبي من البلاد وخاصة على ضفاف نهر النيجر، ثم حول نهر السنغال. وأهم القبائل في مالي هي:

١ ــ **الماندينغ**: وتقدر نسبتهم من ٤٠٪ من مجموع السكان، ويحملون أسماء مختلفة، فالعرب يسمونهم (مليل)، ويقول الفولانيون (مالي)، ويسميهم البربر (مليت)، والهاوسا يطلقون عليهم اسم (وانقاره)، ولعل هذا الاسم يطلق على فرعـين منهـا وهما: «السوننكى والديولا». ويسميهم التكرور (المالنكى)، والغامبيون يسمونهم (ماندينغ). وهم يسمون أنفسهم (الماندى).

٢ ــ **السنغاى**: وهم زنوج يعيشون عند ثنية نهر النيجر، وتبلغ نسبتهم ١٢٪ من السكان، ويعملون بصيد السمك.

٣ ــ **الفولانى**: ولهم أسماء كثيرة أيضاً، ويشكلون ١٠٪ من سكان البلاد.

٤ ــ **البرنو**:

٥ ــ **التوكلور**: وتعيش في الغرب قرب السنغال.

٦ ــ **الموش**: وتعيش في الجنوب قرب فولتا العليا. وأكثرهم لايزال على الوثنية.

٧ ــ **السينوفو**: وتقطن هذه القبائل قرب ساحل العاج وفولتا العليا عند أعالى النيجر ونهر فولنا وتشكيل ٣,٥٪ من سكان بلاد مالي.

٨ ــ **الماركاكا**: ويشكلون ٦٪ من السكانا.

٩ ــ **الدوجون**: ويشكلون ٣,٥٪ من سكان مالي.

١٠ ــ **الطوارق**: ويعيشون في الشمال، ويعرفون باسم الملثمين.

١١ ــ وهناك مجموعة صغيرة من العرب تعيش بالقرب من (تومبوكو).

يشكـل المسلمـون ٩٣٪ من السكـان، على حين تبلغ نسبـة الـوثنيين ٦٪ ومعـظمهم من (البـامبارا) التي هي فرع من (الماندينغ) ومن قبائل (الموش)، ويشكل النصارى ١٪ فقط من السكان. ولكل مجموعة لغتها الخاصة، واللغة الفرنسية هي الرسمية، وقد فرضت بعد دخول الفرنسيين.

النشاط البشـــرى:

تعتمد مالي في اقتصادها على الزراعة التي تقوم على نهرى النيجر والسنغال. فيزرع الأرز، والفول السوداني، والدخن، والقطن، وتربى الحيوانات، وتصاد

الأسماك. ويستثمر بكميات قليلة الحديد، والذهب، والماس، والبوكسيت كما يوجد الملح.

ويقدر انتاج المحصولات والثروة الحيوانية كما يلي:

الأرز	١٧٠,٠٠٠ طن	الأبقار	٥,٠٠٠,٠٠٠ رأس
الفول السوداني	١٢٠,٠٠٠ طن	الأغنام	٣,٥٠٠,٠٠٠ رأس
القطن	٢٠,٠٠٠ طن	الماعز	٧,٠٠٠,٠٠٠ رأس

التـــاريخ

قامت في التاريخ عدة إمبراطوريات وممالك في المنطقة التي تشملها اليوم دولة مالي، دانت أكثرها بالإسلام وعملت له وأهمها:

١ ــ إمبراطورية غانا:

في القرن السابع قبل الهجرة قامت إمبراطورية (غانا) في منطقة مالي اليوم، أسستها جماعة بيضاء جاءت من الشرق أو من الشمال وغدت مع الزمن سوداء وهى التي عرفت فيما بعد باسم (الفولانيين)، وكان مقرها مدينة (كومبى صالح) التي تقع بين نهرى النيجر والسنغال، في منطقة (أوكار)، وسيطرت على جماعة (السوننكى) أصحاب النفوذ هناك، واعتمدت في حياتها على الزراعة والتجارة. وفي القرن الهجري الثاني طردت جماعة (السوننكى) الفولانيين نحو الغرب، وحكمت (غانا) حتى جاء المرابطون في القرن الخامس الهجرى عام ٤٦٩هـ فانتشر فيها الإسلام، وكانت من قبل تدين بالوثنية.

تمكنت جماعة السوننكى أن توسع نفوذه وأن تسيطر على مدينة (أودغشت) حاضرة قبيلة (لمتونة) إحدى فروع قبيلة (صنهاجة) والتي كانت فيها حكومة بربرية شملت أجزاء واسعة من موريتانيا، والسنيغال، وغينيا، ومالي دول العصر الحديث. وكانت المنطقة بين الممالك تسيطر إحداها على جميعها عندما تزداد قوتها، ولا تقضى عليها، وإنما تكتفى بفرض الجزية، فإذا حدث أن قويت مملكة أخرى عادت وسيطرت على غيرها، وأصبحت المحكومة بالأمس حاكمة اليوم. وقد تعود

دولة منها للنهوض ثانيةً مادام لم يقض عليها، ولما كانت كل مملكة تسيطر على عدة ممالك لذا فقد عرفت باسم «امبراطوريات».

انتشر الإسلام قليلاً في إمبراطورية غانا قبل قدوم المرابطين بل ذكرت بعض الروايات أن أحد ملوك غانا قد اعتنق الإسلام عام ٣٣٣هـ . كما اعتنقه أحد ملوك التكرور عام ٤٣٢هـ . وأصبح للمسلمين في قاعدة غانا ضاحية خاصة تعادل العاصمة أو تشمل نصفها وفيها اثنا عشر مسجداً، ولهم حرية في الدولة.

كان القتال مستمراً بين إمبراطورية غانا والملثمين في الشمال بزعامة قبيلة (لمتونة) والـذين كانت قاعدتهم مدينة (أودغشت)، وتمكنت غانا من إحراز النصر على الملثمـين الأمـر الـذي جعـل (لمتونة) تتخلى عن الزعامة لأختها (جدالة) التي استـطاعت أن توقـف زحف إمبراطورية غانا نحو الشمال. ثم تأسست جماعة المـرابطين الأساسية من قبيلة (جدالة) عندما جاء «عبدالله بن ياسين» إليهم، وعندما قوي أمرهم تمكنوا من استعادة مدينة (أودغشت) عام ٤٤٦هـ من غانا، وحملوا أهلها على اعتناق الإسلام، إلا أن زعيمهم (يحيى بن إبراهيم الجدالى) قد استشهـد في المعركة التي فتحت إثرها مدينة (أودغشت) وتولى بعده زعامة المرابطين (أبو بكر بن عمر اللمتونى) ابن عمه وزيعم قبيلة (لمتونة)، وتمكن من دخـول قاعدة امبراطورية غانا مدينة (كومبى صالح)، وكانت غانا قد ضعف أمرها، وتفككت وذلك عام ٤٦٩هـ ، وفرض اللمتونى الإسلام على سكان غانا.

ثم ضعف أمر المرابطين بعد وفاة (أبو بكر بن عمر اللمتونى) عام ٤٨٠هـ ، فعاد للسوننكى قوتهم فاستقلوا وأعلنوا عن ارتباطهم بالدولة العباسية. ثم ساد الجفاف المنطقة وارتحلت عدة قبائل نحو الجنوب فانهارت إمبراطورية غانا وقامت مكانها امبراطورية (الصوصو)، وكان لارتحال القبائل نحو الجنوب أثر في تعمق الإسلام نحو خليج غانا.

٢ ـ امبراطورية الصوصـو:

هاجرت جماعة من الفولانيين من بلاد التكرور واتجهت نحو الشرق، واستقرت في منطقة (كانياغا) في أعالى نهر النيجر، ثم سيطرت على شعب الصوصو، ثم قوى أمرهم، وتمكنوا من دخول مدينة (كومبى صالح) عام ٦٠٠هـ ، ودمروها،

ومحوا أثرها، وتوسعوا حتى شملت دولتهم أكثر أجزاء إمبراطورية غانا. كما هاجموا مملكة (الماندينغ) في الجنوب الغربى، وقتلوا ملكهم (سومانجارو) ملك الماندينغ (نارى فامغان) وأولاده جميعاً باستثناء صغيرهم لمعرضه وهو (سندياتا) أو كما عرف باسم (مارى جاطه) وذلك عام ٦٢٨هـ.

٣ ـ مملكة مالـي :

تمكن (مارى جاطه) عام ٦٣٣هـ أن يؤسس جيشاً، وأن ينتصر على الصوصو، وأن يدخل عاصمة غانا القديمة، وأن يزيل ما بقى منها، ولكنه عطف على المسلمين الذين فروا منها إلى الشمال في ولايته عندما هاجمهم الصوصو.

إنّ (مارى جاطه) هو ابن (نارى فامغان) الذي عرف بالصلاح والعمل على نشر الإسلام، والذي قتله الصوصو. وقد نقل (مارى جاطه) عاصمته إلى مدينة مالى التي أسسها، والتي تقع اليوم في غينيا قرب الحدود مع دولة مالى. وقد توسعت هذه المملكة كثيراً حتى شملت أكثر أجزاء افريقية الغربية، واستمر حكمها حتى عام ٨٩٤هـ (١٤٨٨م). وقد ضعف أمرها أمام هجمات الطوارق في الشمال واستيلائهم على مدينة (تومبوكتو). وأعمال الغزو التي تقوم بها قبائل (الوش) الوثنية في الجنوب، وهجمات الفولانيين والتكارنة من الغرب، ثم استقلال مملكة (صنغاى) على نهر النيجر، وتوسعها حتى قضت على مملكة مالى إلا أن الماليين قد حاولوا استعادة نفوذهم ضد (صنغاى) فاستنجدوا بالعثمانيين عام ٨٨٦هـ (١٤٨٠م) وطلبوا المساعدة من البرتغاليين فساعدوهم ضد الفولانيين وأجلوهم عن الأجزاء الغربية. وقاموا بثورة عام ٩٤٠هـ ضد صنغاى غير أنهم فشلوا وقمعت ثورتهم. ثم استطاع السلطان (محمد الثالث) أن يستعيد بعض أملاكه، ولكنه هُزم في النهاية عام ١٠٠٠هـ (١٥٩١م) أمام السعديين في مراكش، والذين دخلوا مدينة (تومبوكتو)، ثم عاد لدولة مالى أهميتها عام ١٠٨١هـ (١٦٧٠م)، ثم تفرق أمراء الأسرة الواحدة واقتسموا السلطة، واستقر آخرهم في مدينة (باماكو). ومن الأسر التي حكمت مملكة مالى أسرة (كيتا) وأسرة (تراورة).

٤ ــ إمبراطورية الصنغاى :

الصنغاى مجموعة من القبائل الزنجية كانت تعيش في منطقة نهر النيجر الواقعة اليوم في دولة النيجر ثم انتقلت أو تحركت قليلاً نحو الشمال واستقرت حول مدينة (غـاو)، وخضعت هذه القبائل لقبيلة لمتونة بعض الزمن. ثم خضعت لمملكة (مـالى) وأعـطت رهـائن لتبقى تحت النفوذ المالي، غير أن (علي كولن) وأخاه (سليمان) فرا من حاضرة مالي وهما من الرهائن، ووصلا إلى (غاو)، وطردا منها الحامية المالية عام ٧٤٠هـ (١٣٣٩م)، وأسسا مملكة جديدة بدأت تتوسع على حساب دولة مالى. ثم عادت للخضوع لمملكة مالي، ولكن عاد أمرها فقوي فاستقل (محمد دوغو) عام ٨٢٣هـ (١٤٢٠م)، وخلفه ابنه (مسنا علي) الذي يعد مؤسس دولة الصنغاي فاستولى على (تومبوكتو) عام ٨٧٣هـ (١٤٦٨م)، وتوسعت مملكتـه حتى غدت امبراطورية شملت أكثر المنطقة، قاومت المغاربة في أواخر عهدها ثم تفككت وانتهت عام ١٠٠٤هـ (١٥٩٥م).

٥ ــ مملكـة البامبـارا :

البامبارا جماعة من الماندينغ تقيم في حوض نهر النيجر الأعلى، خضعت لمملكة مالي، ثم لامبراطورية الصنغاى، ثم أسست إمارة في مدينة (سيغو) خضعت لإمارة (تومبوكتو)، ثم استقلت عنا عام ١٠٧١هـ (١٦٦٠م)، وتوسعت، وأخيراً حكمتها أسرة (ديارا) التي استمرت في الحكم حتى عام ١٢٧٨هـ (١٨٦١م) حيث خضعت لسلطان الحاج عمر الذي قاوم الفرنسيين.

٦ ــ دولة الحاج عمر الفولانى :

ظهـر الحـاج عمـر عام ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م)، واستطاع أن يوحد السودان الغربى تحت سلطانه، وأوقف الفرنسيون تقدمه نحو الغرب، وليزيد من قوته دخـل إمـارة (سيغـو) عام ١٢٧٨هـ (١٨٦١م)، و (مـاسينـا) عام ١٢٧٩هـ (١٨٦٢م)، و (تـومبـوكتو) عام ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م)، وقاوم الفرنسيين مقاومة عنيفة، وأخيراً ثار عليه (البامبارا) في (سيغو) والفولانيون في (ماسينا) وأخيراً قتل عام ١٢٨١هـ (١٨٦٤م)، واختلف أبناؤه على السلطة، وهزم آخرهم وهو الأمير أحمد أمام الفرنسيين وتوفي عام ١٣١٦هـ (١٨٩٨م)، وتمكنوا بعدها من احتـلال البلاد.

٧ ـ ساموری توری :

بقي الماينديغ منقسمين على أنفسهم بعد زوال دولة (البامبارا) حتى ظهر فيهم عام ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م) زعيم قوى هو (ساموری توری) إذ استطاع أن يبسط نفوذه على جميع قبائل (الماينـدنغ) في خلال عشرين سنة ١٢٨٧-١٣٠٧هـ (١٨٧١-١٨٨٩م) وأن يوحد صفوفهم إلى الجنوب من دولة الحاج عمر، واتخذ لقب إمام وتصدى لمقاومة الفرنسيين من عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م) إلى عام ١٣١٦هـ (١٨٩٨م)، وقد تمكن الفرنسيون من دخول مدينة (سيغو)، ومدينة (تومبوكتو) عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢م)، واضطر ساموری توری أن يفر من وجههم إلى أعالى نهر فولتا العليا، واستمر في المقاومة فقبض عليه عام ١٣١٦هـ (١٨٩٨م) في شمالى ساحل العاج، ونفي الى الغابون حيث توفي عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م)، واستقر الفرنسيون في المنطقة.

الاستعمـــار :

كانت أولى الرحلات الأوروبية إلى داخل إفريقية موجهة إلى حوض نهر النيجر، وقد انطلقت عام ١٢١٠هـ (١٨٥٩م) من غامبيا، واستطاع (منجو بارك) أن يصل إلى مدينة (سيغو). ثم توغل إلى أكثر من ذلك في رحلته الثانية عام ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م)، وكثرت الرحلات بعد ذلك وخاصة الفرنسية منها، ولما تم لهؤلاء الرحالة التعرف على أوضاع البلاد السياسية والاجتماعية بدأت الحملات العسكرية، واتجهت فرنسا بثقلها نحو إفريقية الغربية. وتمكنت من التوغل على طريق نهري النيجر والسنغال بعد مقاومات عنيفة وحيث استطاعت القضاء على مملكة الحاج عمر الفولاني، وسلطان ساموری توری عام ١٣١٦هـ (١٨٩٨م)، ومن ثم بسطت نفوذها على معظم السودان الغربى، وعن طريق الإرهاب والوحشية أخضعت السكان، وفتحت أبواب المنطقة للإرساليات التنصيرية المدعومة بكل الإمكانات المادية والمعنوية، ففتحت المدارس، وأقامت المشافى، وقدمت المساعدات وجعلتها في خدمة من يعتنق النصرانية. وأوصدت أبوابها أمام المسلمين. ومع هذا فلم تنجح لذا بقى الشعب في حالةٍ من الجهل والفقر والمرض، فنشأت جماعة من أنصار الاستعمار مهيأة لتسلم الحكم مكانه، وتنفيذ

مصالحه، وتتبع خطواته.

وقد تعرضت إفريقية الغربية التي خضعت للاستعمار الفرنسى إلى عدة تغييرات في الحدود والأقسام السياسية، وظلت كل مستعمرة خاضعةً لحاكم فرنسى عام يتلقى تعليماتـه من وزير المستعمرات الفرنسى، ثم فكرت فرنسا بجمع بعض المستعمرات في تجمعات اتحادية ومن هذه الوحدات كان إفريقية الغربية الفرنسية التي تضم موريتانيا ـ السنغال ـ غينيا ـ ساحل العاج ـ فولتا العليا ـ مالي ـ النيجر ـ داهومى.

وفي عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) شكلت فرنسـا إقليماً في منـطقة مالى وسمى (السنغال العليا والنيجر) ثم أصبح هذا الاسم عام ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) السودان الفرنسى.

وأفادت فرنسا في الحرب العالمية الأولى من السكان فكان وقود الحرب في كل المعارك التي خاضتها. وكان كل تجمع سياسي يجب أن يخضع لفرنسا سياسياً واقتصادياً وثقافياً، ووجد في البلاد تجمعان هما:

١ ــ حزب الاتحاد السودانى الذي يدعو لإقامة حكم شبيه بحكم الحاج عمر الفولانى.

٢ ــ حزب التجمـع الديمقراطى الافريقي، وكان في غربى إفريقية كله وله فروع في كل مستعمرة.

ونص دستور فرنسا عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) على تكوين مجلس عام في كل اتحاد، ينتخب أعضاؤه من بين الجمعيات الإقليمية في وحدات الاتحاد، وجرت الانتخابات الأولى.

وعدل الدستور عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م)، وأصبح بجانب المجلس الوطنى الإقليمي مجلس تنفيذي يمثل السلطة، ويرأس هذا المجلس حاكم الإقليم، وهو الذي يعين قسماً من المجلس بينما يتم أخذ القسم الثاني بالانتخاب.

وفي عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) عقد موتمر في باماكو يضم أقليم إفريقية الغربية، وقد اعترف هذا المؤتمر بحق تقرير المصير، اعترفت فرنسا بذلك لانها خشيت انـدلاع ثورة في البلاد، كما حدث في الجزائر إذ كانت الثورة مشتعلةً هناك،

وأصدر رئيس وزراء فرنسا يومذاك قانون الإصلاح الإدارى الذي ينص على إجراء انتخابات في كل إقليم لتأسيس جميعات عامة تتولى تشكيل الوزارة.

وفي عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م) جاء ديغول إلى حكم فرنسا، وعرض مشروعه فوافقت عليه أغلب الأقاليم، فنالت مالي الاستقلال الذاتي ضمن المجموعة الفرنسية، وألغيت وظيفة الحاكم، وتشكلت الوزارة برئاسة (موديبوكيتا).

وفي عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) تم اتحاد بين السودان الفرنسي «مالي» والسنغال أطلق عليه اسم مالي، وانتخب (موديبوكيتا) رئيساً لهذا الاتحاد، ونال الاستقلال ضمن المجموعة الفرنسية عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)، ولكن لم يلبث أن حل الاتحاد بعد ثلاثة أشهر من قيامه، وأعلن السودان نفسه جمهورية مستقلة استقلالاً تاماً مع الاحتفاظ باسم (مالي)، وانتخب (موديبوكيتا) رئيساً للجمهورية عام ١٣٨هـ (١٩٦١م)، وجرت مفاوضات مع فرنسا يشأن القواعد العسكرية في مالي. [وينتمى موديبوكيتا إلى أسرة كيتا التي حكمت مالي منذ عام ٦٣٣هـ].

وفي عام ١٣٣٨هـ (١٩٦٨م) انتهت مدة رئاسة موديبوكيتا، وقد نحى عن الحكم بعد حركة عسكرية قادها الملازم الأول (موسى تراورى) الذي ينتمى إلى أسرة تراورى التي حكمت مدة مملكة مالي.

النيجـــــر

لمحة جغرافيـــة :

تبلغ مساحة النيجـر (١,٢٦٧,٠٠٠) كيلو متر مربع، فهى من الدول التي تشغل مساحة واسعة في القارة الإفريقية. ويتألف سطحها من هضبة واسعة يبلغ معدل ارتفاعها ٣٦٥م عن مستوى سطح البحر، ويصل أقصى ارتفاع في الوسط ٢٠٠٠م ومتمثلاً في كتلة (آبر) ذات الصخور القديمة، ومن هذه الكتلة تميل الأرض نحو الغرب والجنوب الغربى حيث تجرى أودية جافة باتجاه مجرى نهر النيجر، كما تميل نحو الجنوب الشرقى باتجاه بحيرة تشاد حتى يسير وادى (دليا)، وتمتد هذه الكتلة نحـو الشمال حيث تتصل بالمرتفعات الجزائرية متمثلة بجبال تاسيلى.

وقد قطعت المياه الجارية هذه الكتلة وجزأتها فأصبحت على شكل كتل منفردة، تفصل بعضها عن بعض أودية واسعة، وتقع مدينة (أغاديس) وسط هذه الكتل في وادٍ عريض، إن هذا الانخفاض العام في هذه الكتلة الجبلية، والأودية التي تقطعها جعل المواصلات تجتازها بشكل سهل فهناك طرق رئيسية بين بلاد الجزائر في الشمال ومدينة (زندر) في الجنوب مارة من (اغاديس) وتعد صلة الوصل بين البلدان المتوسطية والأجزاء السودانية في القارة الإفريقية.

أما المنطقة الشرقية والمحصورة بين المرتفعات الوسطى والشمالية فتمتد منطقة واسعة تغطيها الرمال التي تعرف بالعرق الكبير، وتقوم وسط هذه الرمال سلسلة من الـواحات تمتد من الشمال إلى الجنوب، تصل بينها طريق تصل أيضاً بين البلدان المتوسطية في الشمال وبين بحيرة تشاد. وكذلك توجد الرمال في الجهات الغربية وتقطعها الحدود السياسية مع مالي.

أمـا في أقصى الشـمال الشرقي وعـلى مقربة من الحدود الليبية فنجد حمادة (مانغونى) ونجد (دجادو) الذي يشمل عدداً من الواحات الصغيرة.

أمـا في الجنـوب فتنخفض الأرض وتنبسط، وتقـل المـظاهر الجبلية، وتزداد الأودية، وتظهر آثار المياه فيها، وتقوم المدن، وتسود الحياة الزراعية.

وتمتد بحيرة تشاد في أقصى الجنوب الشرقي، أما في الجنوب الغربى فيجرى نهر النيجر مسافة ٢٩٦ كم في بلاد النيجر، ويدخل من بلاد مالى، ويكون صالحاً للملاحة، ثم يدخل بلاد نيجيريا.

المنـــــاخ:

تقع النيجر بين خطى عرض ٢٤, ١٢ و ٣٠,٢٣° إذ يمر مدار السرطان من نقطة التقاء الحدود الليبية ـ الجزائرية ـ النيجرية، وبذا فإن النيجر تشتمل على منطقتين مناخيتين هما:

١ ــ منطقة السافانا في الجنوب بين خطى عرض ٢٤,١٢ عند الحدود الجنوبية وخـط عرض ١٨° شمال مدينـة (أغـاديس)، وتـنـمـو في هذه المنـطقـة الحشاش القصيرة، كما توجد مجموعات من الشجيرات مثل: الباؤباب، والماهوجينى، والكابوك. وتكون الحرارة مرتفعة طيلة العام، وأشد الأشهر

حرارة هى أشهر نيسان وأيار وهى الأشهر التي تسبق الفصل الماطر، حيث تخفف الأمطار من ارتفاع الحرارة إذ يذهب بعضها في تبخير كميات من المياه المتجمعة نتيجة الأمطار أو الهاطلة. ويبلغ معدل كميات الأمطار ٢١٧ مم في مدينة زندر، و ٧٥٠مم في مدينة نيامى. وإن موسم الأمطار هو فصل الصيف بين حزيران وأيلول.

٢ ـ منطقة الصحراء في الشمال بين خطى عرض ١٨-٣٠,٢٣، وتكون الحرارة مرتفعة طيلة العام، وتتباين درجاتها بين الليل والنهار، وقلما تهطل الأمطار إذ يتبخر أكثرها قبل سقوطة على الأرض. ولا تهطل إلا على المناطق المرتفعة. ولاتنمو إلا بعض الحشائش الجافة، ونباتات الترب الملحية، إثر هطول الأمطار، وتنمو في بطون الأودية الجافة بعض الشجيرات الصحراوية، كما تتناثر بعض المجموعات من الواحدات وخاصة في المنطقة الشرقية بين الرمال على شكل خط طولانى من الشمال إلى الجنوب.

الميـــــاه :

تتكون بعض المجارى المائية عقب سقوط الأمطار، وتجرى مع ميل الأرض فتنجه نحو الجنوب الغربى لتنتهى في نهر النيجر، ومنها ما يتجه نحو نيجيريا لتؤول إلى وادى (سوكوتو) الذي يصب في نهر النيجر، كما أن بعض هذه الأودية يسير نحو بحيرة تشاد، ومنها ما يغيض في الرما وخاصة أودية نجد (دجادو).

أما نهر النيجر في الجنوب الغربى فيكون مجراه عميقاً، الأمر الذي يدعو إلى رفع المياه منه بواسطة المضخات من أجل العمل الزراعى، كما أن المشروعات الاروائية إنما يقوم أكثر عليه.

الســـــكان :

لما كانت المنطقة الجنوبية هى البقعة التي تتوافر فيها المياه بسبب الأمطار لذا فهى الجزء المأهول ففيه المدن الرئيسية مثل: نيامى العاصمة، وزندر، ومارادى، وتاهوا، ودوسو، وهو مركز النشاط البشرى.

يقدر عدد سكان النيجر بستة ملايين نسمة، وبذا لاتزيد الكثافة على خمسة

أشخاص في الكيلو المتر المربع الواحد، وهى كثافة قليلة جداً. وتعد من الكثافات القليلة في العالم.

وأشهر القبائل التي تقيم أو تنتقل في أرجاء النيجر هي: الهاوسا، والفولانى، والغرما، والسنغاى، والطوارق وكلهم من المسلمين. ولكل قبيلة لغتها الخاصة بها، أما اللغة الفرنسية فهى الرسمية، وتنتشر العربية في الأوساط الشعبية وعند أهل العلم من المسلمين.

النشاط البشرى:

تمتـد الصحراء على نصف مساحة النيجر، وتحتل المناطق الشمالية، وتشمل الأجزاء الواقعة إلى الشمال من الخط الممتد من خط عرض ١٥° في الشرق شمال بحيرة تشاد إلى الخط ٧٠,٣° عند حدود مالى، ولا تضم هذه المنطقة الا بضع واحـات بعضها يقع في الشمال الشرقى بين الرمال ويعتمد على المياه الجوفية، وبعضها في الوسط بسبب بعض الأمطار التي تتساقط على المنطقة نتيجة الارتفاع ووجود الأودية المحمية بتلك المرتفعات ايضاً.

وإلى جنوب المنطقة الصحراوية توجد منطقة مراع تمتد من خط عرض ١٣ على بحيرة تشاد وحتى خط عرض ١٦° عند حدود مالي، وتكثر الواحات في هذه المنطقة وخاصة في الوسط في المنطقة المرتفعة وأشهرها (أغاديس) و (عين غال) إلى الغرب من الأولى، وتربى في هذه المنطقة الإبل، والأغنام، والماعز.

وإلى الجنـوب من المنـطقـة الثانية توجد منطقة مراعى موسمية حيث تنتشر الأعشـاب في موسم الصيف بسبب سقـوط الأمـطار وتربى هنا من الحيوانات الأغنام، والماعز، والأبقار، والحمير، والخيول.

وإلى الجنوب من المنطقة الثالثة تقوم الحياة الزراعية، فيزرع الأرز على طول مجارى الأنهار والأودية، مثل نهر النيجر، والأودية التي تدخل أرض نيجيريا حيث تكون منطقة قرب الحدود منطقية مستوية تتجمع فيها المياه وتصلح لهذا النوع من الزراعة، وحول مدن مارادى، وزندر.

ويزرع القـطن جنوب شرقى مدينة (مارادى) وحتى حدود نيجيريا، وشمال (ماداوا)، وفي منطقة الرعى الموسمى، ويصدر الإنتاج كاملاً.

ويجمـع الصمـغ العربى من المنطقة القريبة من بحيرة تشاد وعلى مساحات واسعة.

أما الفول السوداني فيزرع في المناطق التي تقع على طول الحدود مع نيجيريا تقريباً، وتزداد المساحة المزروعة بهذا النوع شمال (مارادى) إلى منطقة (زندر) و (غورى)، كما تكثر في منطقة (دوسو)، وعلى نهر النيجر بين (تيلايرى) ومنطقة خروج النهر من البلاد عند الحدود مع (بنين) ونيجيريا، وفي الأقسام الجنوبية الواقعة قرب الحدود مع فولتا العليا، وقد دخلت زراعته حديثاً إلى البلاد وذلك حوالى عام ١٣٨٠هـ.

كما تزرع الذرة الصيفية والدخن وكلها تذهب في الاستهلاك المحلى، كما يزرع البندق، والكاساقا، ويصاد السمك من نهر النيجر، ويقدر إنتاج أهم الحاصلات بما يلي:

الفول السوداني	١٣٥,٠٠٠	طن
الدخن	٥٠٠,٠٠٠	طن
الذرة الصيفية	٥٧١,٠٠٠	طن
القطن	٧,٠٠٠	طن
الأبقار	٣,٥٠٠,٠٠٠	رأس
الأغنام	١,٨٠٠,٠٠٠	رأس
الماعز	٥,٠٠٠,٠٠٠	رأس
الإبل	٢٥٠,٠٠٠	رأس
الخيول	٨٦,٠٠٠	رأس
الحمير	٣٠٠,٠٠٠	رأس
السمك	٦,٠٠٠	طن

لقـد اكتشفت ثلاثة مناجم لليورانيوم عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)، إثنان منها شمال مدينة (أغاديس)، والثالث بالقرب من (ارليت) على بعد ٢١٠ كيلومترات شمال (أغاديس)، كما يوجد في المنطقة القصدير والتنغستين وقرب مدينة (أغاديس) أيضاً. وتعد واحة (بيلما) من أشهر مناطق الملح.

ولعل أهم مشكلة تعانيها النيجر بعد الموانىء، وهى في الوقت نفسه لاتتبعها.

التـــاريخ

توغل الرومان جنوب الصحراء، ولما جاء المسلمون كانوا يجتازون المنطقة إلى بحيرة تشاد فنشروا الإسلام أثناء رحلاتهم عن طريق الدعوة والتجارة أو على الأقل عرف السكان المستوطنون في تلك الجهات الإسلام عن طريق تلك الرحلات.

وفي القـرن الخـامس الهجرى أخضع الطوراق الأجزاء الشمالية اليهم، كما أخضع الهاوسا بقية المناطق من النيجر اليوم إليهم وكلا الجماعتين من المسلمين. فبدأ الإسلام ينتشر على نطاق واسع بين الجماعات المستوطنة هناك. وشكل الحكام إمارات متعددة في تلك الجهات.

وفي ٩٢١هـ (١٥١٥م) سار جيش (غاو) من مملكة (سنغاى) بقيادة (اسكيا محمـد الأول) إلى المنـطقة فأخضع الدويلات فيها سواء دويلات (الهاوسا) في الجنوب أم الإمارات البربرية في الشمال حيث تمكن من دخول مدينة (أغاديس) البربرية، وبعد مدة انسحب السنغانيون من البلاد، وعادت الإمارات إليها.

دخلت قبيلة (غرما) مع قبائل بدوية أخرى المنطقة من الشمال، وتمكنوا بزعامة الطوارق أن يقيموا تكتلاتٍ قوية في هضبة (آير) وأن يقفوا في وجه الفولانيين الذي بدأوا يتدفقون إلى المنطقة وذلك في بداية القرن الثاني عشر الهجرى. إلا أن (عثمان بن فودى) قد استطاع إخضاع إمارات (الهاوسا) إلى سلطانه في المدة الـواقعـة من ١٢١٩-١٢٢٥هـ (١٨٠٤-١٨١٠م) كما استطاع خلفاؤه من بعده الاحتفاظ بهذه السلطة بصفتهم زعماء دينيين.

وفي عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م) وصـل إلى المنـطقـة المقـدم (دنهم) والمـلازم (كـلابرتن) الموفدان من قبل الحكومة البريطانية لمعرفة نهر النيجر، والتقيا بابن (عثمان بن فودى)، ودرسا المنطقة دراسة جيدة.

واتفقت فرنسا وإنكلترا عام ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م) على تعيين الحدود واقتسام مناطق النفوذ بينهما وسط إفريقية، وكانت النيجر من نصيب فرنسا، فأرسلت حملة تمكنت من السيطرة على الأجزاء الجنوبية من البلاد إلا أنها لاقت مقاومة عنيفة في الشمال من قبل قبائل الطوارق، غير أن التعاون الإنكليزي - الفرنسي في العمليات العسكرية قد خفض من شوكة المقاومة، واستطاعت فرنسا السيطرة على

البلاد كلها عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) وعدتها مستعمرة لها منذ ذلك العام.

شكل سكان النيجر أول حكومةٍ وطنيةٍ عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م)، وقد صوتت إلى جانب دستور ديغول عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م)، وشكلت حكومة جديدة برئاسة (هامانى ديورى) زعيم الحزب التقدمى النيجرى الذي كان يناصره الرؤساء المسلمون.

وفي عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) شكل النيجر، وداهومى، وساحل العاج، وفولتا العليا رابطة لتنسيق السياسة الاقتصادية والخارجية لهذه الدول، وانتخب السيد (هامانى ديورى) رئيساً لهذه الرابطة في السنة الأولى حيث كانت الرئاسة بالتناوب سنوياً، إلا أن النيجر فتحت باب المفاوضة مع فرنسا للحصول على الاستقلال التام وفعلاً فقد حصلت عليه عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)، واسوة بالبلدان الأخرى المشتركة في الرابطة فقد رفضت الانضمام إلى الجماعة الفرنسية.

بوركينافاسو « فولتا العليا »

لمحة جغرافيـــة :

تبلغ مساحة فولتا العليا (٢٧٤,٢٠٠) كيلو متر مربع، ويتألف سطحها من هضبةٍ قديمة هى هضبة (موسى) التي تتركب من صخور من الغرانيت والغنايس، وتغطيها صخور رسوبية تعود إلى الزمنين الأول والثاني، ويصل أقصى ارتفاع لها في الغرب، وفي الوسط شمال العاصمة إلى ٧٤٩م فقط. وتنحدر الهضبة نحو الجنوب حيث تجرى عدة أنهار تقطعها منها: نهر الفولتا الأسود الذي يشكل الحدود بينها وبين غانا، والفولتا الأحمر، والفولتا الأبيض اللذان يلتقيان بعد أن يسيرا مسافة في غانا، ثم تشكل الأنهار الثلاثة بحيرة غانا والتي يخرج مها نهر الفولتا. كما تميل الهضبة نحو الشرق حيث تجرى بعض الأودية نحو نهر النيجر، وتغيض بعض السيول في الرمال شمال الكتل الانكسارية المنعزلة الواقعة شمال العاصمة.

المنـــــاخ:

تقع فولتا العليا بين خطى عرض ٩,٣٥-١٥° شمالاً فهى إذان ضمن المناخ المدارى ذى الأمطار الصيفية، والشتاء الجاف.

تتناقص الأمطار من الجنوب الغربى نحو الشمال الشرقى فتكون ١٥٠٠ مم في الجنـوب الغربى، ويكون المناخ أقرب إلى الغينى، وتقل إلى ٥٠٠ مم في الشمال الشرقى، ويأخذ المناخ الصفة القريبة من الصحراوية شمال خط عرض ١٤° تقريباً.

وتهب في الشتـاء رياح الحرمطان الشمالية الشرقية الجافة التي تحمل الأتربة والغبـار، وتنمـو في الجنوب الغابات المدارية وتتدرج نحو الشمال إلى حشائش السافانا التي تتخللها الأشجار، ثم الأشجار المتناثرة بين الأعشاب القصيرة في الشمال الشرقى.

الســـــكـان :

يقدر عدد سكان فولتا العليا عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) بستة ملايين نسمة وبذا تزيد الكثافة على عشرين شخصاً في الكيلو المتر المربع الواحد، وإن كانت هذه الكثافة تختلف بين جهة وأخرى، فهى في هضبة (الموسى) تزيد على المائة في حين تنخفض في الجنوب الشرقى على حدود بنين والتوغو إلى خمسة أشخاص بسبب انتشار الأمراض هناك.

وأشهر القبائل التي تعيش في فولتا العليا هي: الموسى وتعيش في الوسط من الشمال إلى الجنوب مارة بالعاصمة، وتشكل أكثر من نصف السكان، ولاتزال أعداد منها على الوثنية، ثم هناك قبائل الماندينغ، والهاوسا، والفولانى، والطوراق في الشمال وأغلب هذه القبائل من المسلمين.

تقدر نسبة المسلمين بخمسة وستين في المائة، ويوجد بين السكان مايقرب من مائة ألف نصرانى، والباقى لايزالون على الوثنية.

النشاط البشـــــرى:

يعتمد السكان في حياتهم الاقتصادية على الزراعة ثم الرعى. فيزرعون الأرز،

والذرة، والفول السودانى، والقطن، والسمسم. ويربرون ٢,٥ مليون رأس من الأبقار، و ٣,٥ مليون من الأغنام والماعز.

ويوجد في أرض فولتا العليا المنغنيز، والبوكسيت، والنحاس، والنيكل ولكن بكميات قليلة.

التـــاريخ

يعتقد أن أهم قبائل بوركينافاسو وهى قبائل (الموسى) قد جاءت من شرقى إفـريقية، ونـزلت هذه الديار وذلك في القرن الرابع الهجرى. وأسست ممالك صغـيرة، وكانت على الوثنية رغم أن مايحيط بها ذو أكثرية مسلمة، وخضعت لمملكة (مالى) المسلمة، كما غدت جزءاً من إمبراطورية (صنغاى) المسلمة أيضاً فيما بعد وذلك في القرن الثامن الهجرى، وكانت تتفض على المسلمين أحياناً حتى يمكننا أن نعدها سبباً من أباب ضعف تلك الدول المسلمة.

ولما ضعفت الدول الإسلامية في تلك الأنحاء، وتقدم الفرنسيون، كانت مملكة لقبائل (موسى) قائمة في (واغا دوغو) عاصمة بوركينافاسو اليوم، فوقعت فرنسا مع حكام تلك المملكة معاهدة عام ١٣١٤هـ (١٨٩٦م)، وبعد ثماني سنوات من سيطرة فرنسا على تلك البقعة ضمتها إلى بلاد النيجر فيما عرف بمستعمرة السنغال العلوى والنيجر، ثم عادت وجعلتها مستعمرة مستقلة عام ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) وعرفت باسم مستعمرة فولتا العليا.

قام المسلمـون في فولتا العليا يطالبون بالاستقلال، فرأت فرنسا أن تجزىء المستعمرة كى تخف المقاومة، وحتى لاتتكرر، فأعطت السودان الفرنسى (مالى) جزءاً، والنيجـر جزءاً ثانياً، وسـاحـل العـاج جزءاً ثالثاً وذلك عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م)، ثم عادت فأعـادتهـا بالحـدود السابقة نفسها وذلك عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٦م) ولم ينته العام حتى جرى انتخاب جمعيه وطنية. وبعد عشرة أعوام أعطيت الحكم الذاتي، وبعد عام آخر أى عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م) أصبحت عضوا في الجماعة الفرنسية بعد مشروع ديغول، ولم يمض عام حتى وضع دستور وجرت الموافقة عليه. ثم استقلت عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)، وانتخب (موريس ياميغو) رئيساً للجمهورية، وقبلت الدولة عضواً في هيئة الأمم المتحدة.

وفي عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) أى بعد الاستقلال بست سنوات قام رئيس الأركان العقيد (سانغولى لاميزانا) بأول انقلاب عسكرى، فأطاح بالحكم السابق، وعلق الدستور، وأعلن نفسه رئيساً للدولة، وفشلت محاولة عودة السلطة إلى المدنيين التي قادها الرئيس السابق عام ١٣٨٧هـ .

لقد وصل الإسلام إلى فولتا العليا في وقت متأخر عن طريق الممالك الإسلامية التي قامت في المنطقة وعن طريق تحرك القبائل المسلمة نحو الجنوب واستمر ذلك الانتشار حتى جاء الفرنسيون حيث توقف المدَّ الاسلامي بسبب السياسة الفرنسية، وتدفق سيل الإرساليات التنصيرية التي تملك الامكانات الضخمة، والتي مسموح لها بالتصرف داخل البلاد كما تشاء. فلما أخذت البلاد الاستقلال عاد المدَّ الاسلامي من جديد رغم الحكم النصرانى، وبقاء الإرساليات النصرانية، وإذا كانت نسبة المسلمين قبيل مجيء الفرنسيين لم تكن لتزيد على ٥٠٪ كثيراً فإن هذه النسبة قد ارتفعت إلى مايقرب من ٦٠٪ بعد زوال الاستعمار الفرنسي بعشر سنوات، وهى الآن تزيد على ٦٥٪ من عدد السكان.

جمهورية إفريقية الوسطى

تبلغ مساحة جمهورية إفريقية الوسطى ٦٢٢,٩٨٤ كيلو متراً مربعاً، وتقع وسط إفريقية وتبعد أكثر من ألف كيلومتر عن أقرب نقطة لها من المحيط. وتتألف من هضبة قليلة الارتفاع يبلغ معدل ارتفاعها ٦٠٠م، وهى هضبة قديمة سوتها عوامل التعرية وتقطعها الأنهار الكثيرة، وتعد أجزاؤها الوسطى من الغرب الى الشرق نقاط توزع المياه بين نهر الكونغو في الجنوب وبحيرة تشاد في الشمال. كما أن حدود الدولة الشرقية هي خط توزع المياه بين النيل والكونغو.

تقع بين دائرتى عرض ٤-١١ فالأجزاء الجنوبية منها إذن تقع ضمن نطاق المناخ الاستوائي ذى الأمطار الغزيرة، والحرارة الدائمة على حين تقع الأجزاء الشمالية ضمن نطاق المناخ المدارى ذى الفصلين الماطر صيفاً، والجاف شتاءً مع وصول رياح الحرمطان القارية في الفصل الجاف.

تغطى الغابات المدارية الأجزاء الجنوبية، وحشائش السافانا الأجزاء الشمالية،

وتتكلف الغابات على طول مجارى الأنهار.

تعتمد في اقتصادها على الزراعة فتنتج القطن، والبن، والكاكاو، وهي غنية بالثروة الخشبية، واكتشف فيها الماس في الجنوب الغربى قرب (بربراتى) وفي الشمال الشرقى قرب (ببراو).

يقدر عدد سكان جمهورية إفريقية الوسطى بمليوني نسمة، وبذا فالكثافة صغيرة لاتتعدى أربعة أشخاص في الكيلو المتر المرابع الواحد. وينتمى السكان إلى شعب البانتو وأهم قبائل هذا الشعب (الباندا)، ويشكلون ثلث السكان، و(البايا) في الغرب، و(المانغا) في الوسط، و(اللندا) في الشرق، و(الزاندى) في الجنوب الشرقى وفي الشمال الشرقى توجد قبائل سودانية مستعربة، كما تعيش قبائل (البيل) و (البوروروو) في المرتفعات الغربية، ولاتزال في غاباتها ترتع بعض مجموعات الأقزام التي تحيا حياة بدائية.

وتسود لغة (الأوبانغى) في التجارة، بينما لكل قبيلة لغتها الخاصة، واللغة الرسمية هي الفرنسية.

انتشر الإسلام في جمهورية إفريقية الوسطى في مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) عندما بدأ الدعاة يفدون إلى المنطقة. ومن أشهرهم محمد بن عبدالكريم المغيلى الذي جاء من شمالي إفريقية، كما خضعت أجزاؤها الشمالية، والشمالية الشرقية للممالك الإسلامية التي قامت في منطقة تشاد وفي غربى السودان فزاد انتشار الإسلام، كما وصل إليها الدعاة السنوسيون من ليبيا والدعاة الذين أرسلهم المهدى في السودان وذلك في نهاية القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر الهجري.

ومع تقدم الإنكليز في السودان للقضاء على المهديين كان الفرنسيون يتقدمون في أراضى إفريقية الوسطى، ووصلت طلائعهم عام ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) إلى العاصمة بانغى. ولم يلبثوا أن حولوا المنطقة التي كانت معروفة آنذاك باسم (أوبانغى - شارى) إلى إقليم تحت استعمار الفرنسي، ثم ضم إلى تشاد عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م)، وبعد أربعة أعوام أصبحت إفريقية الإستوائية الفرنسية مؤلفة من أربعة أقاليم هي: تشاد - أوبانغى شارى - الغابون - الكونغو واستمر

هذا الوضع حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

ظهر (برثلومى بوغندا) كزعيم سياسي بعد الحرب العالمية الثانية، وتولى رئاسة أول حكومة عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م)، وصوتت البلاد لصالح مشروع ديغول، وأصبح اسم البلاد: جمهورية إفريقية الوسطى بعد أن كان (اوبانغى ـ شارى)، وقد حصلت على الاستقلال عام ١٣٨٠هـ.

وتوفِّى «بوغندا» بحادث طائرة، وانتخب رئيساً للبلاد (دافيد داكو).